الفاشية
بين النظرية والتطبيق

11

جدلية «جولدهاجن»
The Goldhagen debate

obeikan.com

obeikan.com

(دانيال جولدهاجن ولد في ١٩٥٩ - وهو مؤلف أميركي سابق وأستاذ مساعد للعلوم السياسية والدراسات الاجتماعية في جامعة هارفارد...)

لقد تولد بسبب المحرقة أعداد هائلة من الموضوعات البحثية والتى كانت تناقش مدى تورط المواطنين الألمان العاديين في القتل. وقال« كريستوفر براوننج Christopher Browning أن الغالبية من القتلة كانوا من « الرجال العاديين» وأضاف بأنه يتعين على المؤرخين أن يوضحوا كيف أمكن لهؤلاء الرجال أن يقبلوا بهذه المهمة. وقد رد «ايان كيرشو Ian Kershaw» أنه ليس القتلة هم الذين ينبغي دراستهم ، بل الأغلبية الصامتة ، والتي سمحت بحدوث القتل بتعاملها سلبا مع الأمر وخمولها. وقد وضع« نورمان جيراس» فكرة مفادها أن الوقوف بموقف المتفرج قد تكون ظاهرة أساسية للبشر. وأصر دانيال جولدهاجن فى نظريته الأكثر إثارة للجدل ، على أن جميع الألمان مشتركون فى عملية « التغييب العقلي» ، وذلك في كتابه ، «جلادون إرادة هتلر» ، والذى يلقى اللوم فيه على جميع الألمان ومسئوليتهم عن المحرقة.

ولقد كان هناك اهتمام غير عادي بكتاب «دانيال جولدهاجن» ، والذي كتبت عنه العديد من المجلات بدءا بمجلة «دير شبيجل» ، و في صحيفة «صنداي تيمز» ، و« الجارديان» و «ريفيو أوف بوكس» فى نيويورك. وبيعت أكثر من نصف مليون نسخة من كتاب «جلادون إرادة هتلر». وقد أجرى جولدهاجن عدة مقابلات على التلفزيون الاميركي في برنامج أذيع فى وقت الذروة ، في حين جاء تصنيف كتابه كأفضل ثاني عمل «غير خيالى» في عام ١٩٩٦ ، وذكرت صحيفة نيويورك تايمز ، عدة ملاحظات عن الكتاب ، وصفته بأنه «واحد من تلك الأعمال الجديدة و النادرة التي تستحق تمييزها كعلامة تاريخية ».

ويقول جولدهاجن : إن ما لا يقل عن مليون شخص، وربما عدة ملايين من الناس كانوا مسؤولين عن المحرقة : ويستنتج من ذلك أن الألمان العاديين لم يقوموا بدور نشط في عملية القتل. ويدعي أن أفكار هتلر كانت مقبولة لأنه أعرب عنها مع تواجد أرضية خصبة حينها لمعاداة السامية. ويصر جولدهاجن على أن هتلر كان قارئ ممتاز لأفكار الشعب الألماني ، حيث أن غالبية الألمان رأوا أن اليهود يمثلون «قوة الشر» ، و أن الغالبية من الشعب الألمانى قد شاركوا في القضاء على اليهود.

وكانت العبارة الرئيسية التى ترددت كثيرا في كتاب جولدهاجن هى « القضاء على السامية». وهو في حجته يؤكد أن معظم الالمان كانوا من المؤيدين للقضاء على اليهود. ويقول ، جولدهاجن عن هتلر أنه حرر في الشعب الألماني معاداتهم للسامية ، وقال: إن تلك الكراهية كانت متواجدة لديهم بالفعل. ويجادل جولدهاجن بجاهزية واستعداد كل المجتمع الألماني لقتل اليهود فيقول : « كانت فكرة الإبادة الجماعية أساسية في المحادثات داخل المجتمع الألماني. وكانت أساسية أيضا في لغتهم وأحاسيسهم. وكانت أساسية في بنيتهم الإدراكية».

وفى مقدمة كتاب جولدهاجن ، فإنه يؤكد بصحة الحجة القائلة بأن «الهولوكوست كانت قبل كل شيء «مشروعا ألمانيا خالصا» ، وذلك من حيث القرارات والخطط والموارد التنظيمية و كون غالبية منفذيها كانوا من الألمان. ثم ، ومن خلال بعض التحليلات المنطقيه التى قام بها ، توجه فى الختام لتفسير المحرقة من حيث توجه الألمان لقتل اليهود.

والمنطق الذى استخدمه جولدهاجن هنا ، كما هو الحال فى جميع كتاباته ، هو « منطق مخادع». فيقول «جولدهاجن» أنه إذا كان معظم الناس الذين شاركوا في المحرقة النازية هم من الألمان ، فإنه يترتب على ذلك أن غالبية الألمان يجب أن

يكونوا قد شاركوا في المحرقة. وبنفس المنطق يمكن للمرء أن يجادل بأن إذا كان معظم الأطفال يرغبون في النوم ، فالأطفال فقط ينامون ، أو أن « الطابية» هي من قطع الشطرنج ، وبالتالي أن جميع قطع الشطرنج هى «طابية» ، أو أنه بها أن جميع القتلة كانوا من الألمان ، لذلك فمن الحتمى أن كل الألمان قد شاركوا فى القتل.

وقدم « نورمان فنكلشتين Norman Finkelstein » تفسيرا ماديا متعارف عليه عالميا للمحرقة. وهو يعارض به ماجاء فى كتابات جولدهاجن . وهو يعد تفسيرا ماركسيا لما حدث فعلا. وسوف نحاول تلخيص القيم التى جاء بها وإن كان بشيء من التفصيل. والميزة الأولى الأكثر وضوحا فى نقد «فنكلشتين» هى العقلانية. فهو عكس «جولدهاجن» يرفض قبول أن الدافع الجنونى لدى غالبية الشعب الألماني.وقال انه يأخذ هذه المسألة من تشبيه جولدهاجن للألمان كمن يشبههم بشخصية «النقيب أهاب» ، من رواية ميلفيل « موبي ديك».

وكان «النقيب أهاب» هذا في حالة من الجنون المحموم لأنه يصطاد الحوت ، والذى كان يكرهه لأن هذا الحوت قد سبب له تشوها ، ولكن اليهود لم يسببوا صررًا للألمان . ووفقا لفنكلشتين ،فإن جولدهاجن قد أوجد حلا لهذه المشكلة، عن طريق القيام بالحجج الدائرية. قائلا إن الألمان يكرهون اليهود ، لأن الألمان يكرهون اليهود. واستجاب «فنكلشتين» بشكل لاذع لهذا الوصف قائلا : إذا كانت أطروحة جولدهاجن تمثل حجة يتذرع بها الألمان . فمن هذا الذى يستطيع إدانة « أناس مجنونين» ؟

إن مفاهيم « نورمان فنكلشتين» هى مفاهيم تاريخية ، ورفض المعالجة التى قام بها جولدهاجن للتاريخ الألماني فيما قبل عام ١٩٤٥ ، كما وصفه بأنه « وصف غير تاريخي »للمظاهر القومية الألمانية». ويربط فنكلشتين بين تاريخ المحرقة وتاريخ

الفاشية. وعلى وجه الخصوص ، يقول فنكلشتين إن تاريخ ألمانيا هو شكل من الانفصال الكبير منذ عام ١٩٣٣. فقبل عام ١٩٣٣ ، كان الحزب الأكبر في ألمانيا هو الحزب الديمقراطي الاشتراكي ، الذي كان معارضا بشدة لمعاداة السامية. وبعد عام ١٩٣٣ وانضمام هتلر إلى السلطة ، اتخذ الألمان العاديين «معاداة السامية» كأيديولوجية رسمية للدولة. أو على حد قول «فنكلشتين» :«الحكم الشمولي الفاسد للألمان».

وفى وصف آخر ل«فنكلشتين» فهو أيضا يبدى رأيا معارضا عندما يصر على تورط الألمان العاديين في أعمال المقاومة للنظام النازي. ويعطي فنكلشتين أمثلة من المعارضة الشعبية لقرار سبتمبر ١٩٤١ لإجبار اليهود على ارتداء النجمة الصفراء. وعلاوة على ذلك يقول أنه يمكن تفسير اللامبالاة التى صاحبت المحرقة بظروف الحرب الألمانية فى ذلك الحين : « فالدعاية لعبت دورا ، وكذلك تصاعد القمع والعزلة المادية لليهود. ثم القسوة تجاه حياة البشر الذين يحضرون الحرب عادة -- وتفاقم صورة التفجيرات الإرهابية ، وتفاقم الحرمان على الجبهة الداخلية». وهكذا ، فإن فنكلشتين يفصل بشكل جذري بين الشعب الألماني والدولة النازية.

إن نموذج فنكلشتين يقبل تحدي جولدهاجن للدخول في سيكولوجية هؤلاء الناس الذين نفذوا المحرقة. وبما أن الهم الأول لـ «جولدهاجن» هو التعامل مع عقلية القتلة ، لذلك قام« فنكلشتين » بعكس ذلك والنظر في الحالة النفسية لهؤلاء الألمان الذين لم يشاركوا في عمليات القتل. ويقول فنكلشتين أن غالبيتهم لم يتميزوا بالمزاج السادي للقتل. ويذكر دليلا حسب الناجين من المحرقة الذين أشاروا إلى أن القتلة كانوا من أنواع متعددة.فبعضهم كان ساديا حقا ، وأكثرهم كان يعانى من حالة من الألم نتيجة للمرض النفسي.

ويعطي فنكلشتين أمثلة من الارتباك ، و« البارانويا» أوجنون العظمة ، والانهيارات العصبية بين هؤلاء الذين قاموا بترتيب وتنفيذ عمليات القتل. وهو يصر على أنه لا ينبغي أن يلام الجنود الألمان على عمليات القتل ولكن تلقى اللائمة على البيروقراطية النازية. وقال انه يقتبس من كلام «دوستويفسكي Dostoevsky » قوله : «إن معظم من أراقوا الدماء كانوا من السادة المتحضرين للغاية». وهذا يعيد للأذهان نقطة فنكلشتين الأصلية : يجب أن ينظر إلى المحرقة النازية بوصفها سياسة متعمدة وعقلانية للدولة ، وليس تصرفات غير عقلانية من الجمهور للقتل الجماعي.

وأخيرا ، يرفض فنكلشتين ان تكون المحرقة فريدة من نوعها، فهو يصر على أن العنصرية والإمبريالية والقتل كلها جزء لصيق بتاريخ الرأسمالية. ولإيضاح هذه النقطة ، يأخذ فنكلشتين عدة أمثلة منها: استخدام معسكرات الاعتقال من قبل البريطانيين خلال حرب «البويرBoer »، والإعدامات خارج نطاق القانون للسود في الولايات المتحدة في الأعوام ١٩٢٠ و ١٩٣٠ ، وحرب فيتنام ، وإلقاء القنابل الذرية على اليابان. ويقول فنكلشتين أنه من المضحك أن يتم إصدار حكم أخلاقي ضد شعب بأكمله : كيف اختلف الأميركيين العاديين عندما تم ذبح ٤ مليون شخص فى الهند الصينية ، وهل يصبح من العادى أن يذبح الفرنسيين مليون إنسان من الجزائريين ، أو أن يقوم من هم من غير الألمان بذبح اليهود؟

ومع ذلك فهناك أجزاء من هذا التفسير والتي تبدو مشكوكا فيها. فيمكن القول أن فنكلشتين اهتم اهتماما قليلا جدا بالأعمال المعارضة لمناهضة للنازية. من خلال التركيز على المقاومة المضادة لمناهضة السامية بقيادة هتلر ، وهذا من شأنه أن ينطوي على استخفاف أو إغفال لأشكال أخرى من المقاومة ، حيث كان هناك من يرفض

العداء للسامية ، ولكن تم اعتبار هذه الفئة أنها تمثل دورا ثانويا. ورغم أن معظم الألمان لم يرضخوا لنظام هتلر ، إلا أنه كانت هناك مقاومة كبيرة ، وكثير منها كان ذى طابع طبقي. وكما قال «ألان مارسون Allan Merson »:« ان مقاومة الألمان للطغيان النازي لم يبدأ في عام ١٩٣٦ بواسطة زعماء الكنيسة أو في عام ١٩٣٨ بقيادة الجنرالات. ولكنه بدأ في عام ١٩٣٣ ، وكانت الغالبية العظمى من الذين شاركوا فيه من العمال اليدويين والشيوعيين».

فقد كان هناك ٣٠٠،٠٠٠ من أعضاء الحزب الشيوعي في عام ١٩٣٢. تعرض نصفهم إما لإلقاء القبض عليهم أو للاضطهاد. وتم قتل وإعدام ما بين ٢٥،٠٠٠ و ٣٠،٠٠٠، أو لقوا حتفهم في المخيمات. وقدر «الجستابو» أن هناك أكثر من ألف من الجماعات الاشتراكية والشيوعية العاملة في ألمانيا في الأعوام بين ١٩٣٥-١٩٣٦ وعدد يربو عن ٢٠٠ من جماعات المحافظين تم التخلص منهم. وفي عام ١٩٣٦ وحده ، استولت الجستابو ١٦٠٠٠٠ من المنشورات التى كانت توزع بصورة غير مشروعة. ولقد ساعدت تلك الصور من المقاومة السياسية على تغذية مثل هذا المناخ الأوسع للمعارضة. و كما أثبت «ايان كيرشو » أنه كانت هناك معارضة كبيرة للنظام النازى في ولاية بافاريا .

ومن الواضح أن ملايين الألمان العاديين شاركوا في أعمال صغيرة من المعارضة للدولة النازية ، ورفضوا إعطاء التحية النازية ، وامتنعوا عن التبرع للمجموعات النازية ، وقاموا بالتعبير عن عدم الرضا و تذمرهم من النظام. وعلى وجه الخصوص كان هناك بالفعل تيار واسع من المعارضة يأمل فى التوحد مع معاداة السامية لتشكيل مقاومة اكبر ، وأنه في أعقاب ليلة الكريستال(ليلة تمت فيها أعمال شغب ضد اليهود وسميت بذلك الاسم لتطاير الزجاج واشتعال الحرائق) ، على

سبيل المثال ، كانت هناك تصريحات علنية على نطاق واسع من العداء تندد بالهجمات النازية على اليهود.

وأيضا وكما سبق أن قلت ، كان من المناسب بالنسبة للماركسيين النظر للمحرقة على أنها فريدة من نوعها وغير فريدة من نوعها فى نفس الوقت. فلم تبدأ عمليات القتل الصناعية في عام ١٩٣٣ ، ولكن فقط بعد عام ١٩٣٩ ،و كانت الإبادة الجماعية منظمة وناجحة جدا. وأن المحرقة هى نتاج الرأسمالية ، وأنها كانت أيضا أبشع جريمة في تاريخ البشرية. وتلى المقالة التى كتبها « فنكلشتين» فى مجلة المراجعة الجديدة لليسار مقالة أخرى لاستعراض الاشتراكية. ووجه انتقادات شديدة فيها بشأن التقليل من الطابع الفريد للمحرقة.

ولا يتفق برنارد هرزبرغ Bernhard Herzberg وهو أحد الاشتراكيين النشطين والذى عاش في فايمار بألمانيا ، مع فنكلشتين على هذه النقطة بالذات. فهو يعارض إصرار فنكلشتين فى رسالته للمراجعة الاشتراكية بأنه لم يكن هناك شيء جديد حول المحرقة ويقول فى هذا الشأن:

كانت معاداة السامية أقدم بكثير من النازية، وهى السلاح الفتاك المضاد للسامية والذى بطبيعة الحال لم يكن اختراعا ألمانيا. لكن النازيين فقط هم الذين سعوا لإبادة اليهود في جميع البلدان التي احتلتها القوات الألمانية خلال الحرب العالمية الثانية. ولقد نجحوا تقريبا ، وذلك باستخدام وسائل صناعية مثل الاستنشاق القسري لغاز السيانيد والتجارب العلمية القاتلة ، و السخرة أو المجاعة. وهنا تأتى ملاحظة فنكلشتين الغريبة للفت الانتباه عندما قام بذكر الإعدامات التى تمت خارج نطاق القانون للسود في الولايات المتحدة في هذا السياق. حيث لا يمكن محاولة مقارنة قضية إعدام السود بالنازية لتحقيق 'الحل النهائي' للمسألة اليهودية

عن طريق الإبادة الكاملة.

وأيا كانت تحفظات الماركسيين مع حسابات ومفاهيم « نورمان فنكلشتين » ، إلا أنه فعل شيئا واحدا واضحا وهو خدمة هائلة للتقاليد الماركسية. وذلك بتأكيده مرارا على العلاقة بين الفاشية والمحرقة. وذكره أن الفاشية نظام حكم تأسس على على القمع بشكل أساسي ، وهو نظام عاش وازدهر من خلال عمليات القتل لمعارضيه. وقال :إنه فقط فى مثل هذا المجتمع ، الذى كان مرهونا بفساد الحكم الفاشي ، أمكن القيام بعمليات القتل والمحرقة التى تمت وعلى نطاق واسع. فالفاشية والمحرقة ليستا منفصلتين فتاريخهما مرتبط بكلاهما سويا . ولا يمكن للمحرقة أن تقع إلا في ظل الفاشية فقط ، ولا يمكن أن يفهم أحدهما من دون الآخر.